مـــجلة جامعة بخت الرضـــا المحكمة، ربع السنوية، العـــدد (43)، المجلد (1) ديسمبر 2025م
معامل التأثير العربي (1.25)
ISSN:[1858-6139],Online

الليل في الشعر العربي (دراسة تحليلية في العصور الجاهلي والإسلامي والعباسي)

عبدالناصر محمد ابراهيم ابو سترة[1] أم الخير حمد النيل أبو عاقلة[2]
[1]جامعة غرب كردفان، كلية التربية
[2]جامعة بخت الرضا، كلية التربية

تاريخ الاستلام:2025/11/22م تاريخ النشر:2025/12/30م

مستخلص

هدفت الدراسة لمعرفة تطور صورة الليل في الشعر العربي عبر ثلاثة عصور متعاقبة: الجاهلي، والإسلامي، والعباسي، بهدف رصد التحولات الدلالية والرمزية التي طرأت على هذه الصورة، وكشف العلاقة الجدلية بين تحولات الوعي الجمعي وتشكل الصور الشعرية. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، متتبعاً الأنساق الرمزية للصورة الليلية في نماذج مختارة من شعر امرئ القيس، وعنترة بن شداد، وزهير بن أبي سلمى، وحسان بن ثابت، ومتمم بن نويرة، وأبي نواس، والمتنبي، والمعري، وابن الرومي. توصلت الدراسة لأن الليل تحول من كونه ظاهرة طبيعية جامدة تعبر عن مشاعر الفرد والجماعة في حدود البيئة الصحراوية المباشرة لرمز روحاني وفلسفي ونفسي معقد، متأثراً بالعامل الديني والتحولات الحضارية كالفتوحات الإسلامية، وبناء المدن، وحركة الترجمة، والتصوف، والجدل الفلسفي، وأن العصر العباسي مثل قمة التطور في صورة الليل، بفضل بروز شعراء كبار حولوا الليل إلى فضاء نقدي وتأملي يعكس ملامح الشخصية العربية الإسلامية في مرحلة نضجها الفكري والحضاري. أوصت الدراسة بإنشاء قاعدة بيانات رقمية متخصصة للصور الشعرية في التراث العربي.

كلمات مفتاحية: الليل، الشعر العربي، العصر الجاهلي، العصر الاسلامي.

Abstract

The study aimed to explore the evolution of the image of night in Arabic poetry across three consecutive eras: the Pre-Islamic (Jahili), the Islamic, and the Abbasi. This was done to monitor the semantic and symbolic shifts that occurred within this image, and to uncover the dialectical relationship between transformations in collective consciousness and the formation of poetic imagery.The study relied on the descriptive-analytical approach, tracing the symbolic patterns of the night image in selected models from the poetry of Imru' al-Qais, Antarah ibn Shaddad, Zuhayr bin Abi Sulma, Hassan bin Thabit, Mutammim bin Nuwayrah, Abu Nuwas, al-Mutanabbi, al-Ma'arri, and Ibn al-Rumi. The study concluded that night transformed from being a rigid natural phenomenon expressing the feelings of the individual and the community within the boundaries of the desert environment, into a direct symbol of a complex spiritual, philosophical, and psychological dimension. This shift was influenced by the religious factor and cultural transformations, such as the Islamic conquests, the building of cities, the translation movement, Sufism, and philosophical debate. Furthermore, the Abbasid era represented the pinnacle of development in the image of night, thanks to the emergence of great poets who turned night into a critical and contemplative space that reflects the features of the Arab-Islamic identity in its stage of intellectual and cultural maturity. The study recommended the establishment of a specialized digital database for poetic imagery in Arabic heritage.

Keywords: Night, Arabic Poetry, the Pre-Islamic Era, the Islamic Era.

مقدمة

يعد الليل فضاءً إبداعياً حيوياً في الذاكرة الشعرية العربية، تجاوز كونه مجرد إطار زماني إلى كونه قضية شعرية مركزية تعكس تحولات الرؤية الكونية والفلسفية عبر العصور. لاحظ النقاد القدامى هذه الأهمية، فذكروا أن الليل كان "مشاعاً بين الشعراء يتصرفون فيه كيف شاءوا". فمنذ العصر الجاهلي، أخذ الليل حيزاً مهماً في القصيدة العربية، لكن نظرته كانت محدودة بفعل البيئة الصحراوية والطبيعة القبلية للمجتمع. ومع بزوغ فجر الإسلام، بدأت تتغير هذه النظرة، فأضحت الصورة الليلية تعبيراً عن العبادة والتهجد والبكاء من خشية الله. ومع الاتساع الحضاري والنهضة العلمية والفلسفية في العصر العباسي، تحول الليل إلى بنية نفسية

معقدة تعبر عن قلق الوجود والتساؤلات الفلسفية والمأزق الأخلاقية. إذ تستقصي هذه الدراسة التحولات الدلالية للصورة الليلية من العصر الجاهلي إلى العباسي، فإنه يعتمد على مقاربة تحليلية تتبع تطور الرمز الليلي من كونه ظاهرة طبيعية شبه جامدة إلى كونه فضاء نفسياً وفلسفياً متشعباً. وقد اختار البحث نماذج شعرية دالة من كل عصر، محاولاً الإجابة عن سؤال مركزي: كيف تحولت صورة الليل في الشعر العربي، وما العوامل التي أسهمت في هذا التحول؟

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستفادة من المنهج التاريخي والمنهج النفسي.

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية:

1/ رصد التحولات الدلالية والرمزية لصورة الليل في الشعر العربي من الجاهلي إلى العباسي.

2/ الكشف عن العلاقة الجدلية بين تحولات الوعي الجمعي وتشكل الصور الشعرية لليل.

3/ تفكيك الأنساق الرمزية للصورة الليلية في نماذج مختارة من الشعراء.

4/ دراسة العوامل المفسرة لتحول الليل من ظاهرة طبيعية إلى فضاء نفسي وفلسفي.

5/ تقديم قراءة نقدية حديثة للصورة الليلية في التراث الشعري العربي.

6/ تأصيل ظاهرة التحول الدلالي في الصور الشعرية العربية.

أهمية الدراسة: تتجلى أهمية الدراسة في كونها تتناول قضية مركزية تعكس تحولات الوعي الجمعي العربي، وسد ثغرة في المكتبة النقدية العربية، وتطوير أدوات تحليل الصورة الشعرية، والكشف عن حيوية الثقافة العربية الإسلامية وقدرتها على التجدد.

الليل في الشعر الجاهلي (من الظاهرة الطبيعية إلى الهوية القبلية)

الليل كظاهرة كونية طبيعية

كان الليل في العصر الجاهلي يمثل جزءاً عضوياً من الدورة الطبيعية للحياة اليومية في الصحراء، حيث تضافرت فيه عناصر الطبيعة الأخرى كالسماء والنجوم والرمال والعواصف. لم يكن الشاعر الجاهلي – في غالبه – يرى الليل سوى جزء من البيئة الطبيعية التي تحيط به، بل كانت نظرته إليه تنزع إلى التجسيد المادي الخالي من الرمزية الفلسفية المعقدة. وقد لاحظ الدكتور شوقي ضيف أن "الشاعر الجاهلي كان ابن بيئته الصحراوية القاسية، تتشكل رؤيته للكون وفق متطلبات البقاء والارتزاق[1]".

كان الليل في هذا السياق يُعتبر لحظة الراحة والسكون بعد عناء النهار الطويل المليء بالمعارك والمفاخر والترحال. لكنه في الوقت نفسه كان يعبر عن الوحدة والصمت والانعزال، وهي سمات تميز الحياة في الصحراء المقفرة. وقد أشار طه حسين في "في الشعر الجاهلي" إلى أن "الصحراء والليل كانا قرينين في النفس العربية؛ فالليل يزيد الصحراء وحشة، والصحراء تزيد الليل ظلمة"[2].

في معلقة امرئ القيس "قفا نبك"، يظهر الليل كوقت للراحة والتأمل في الأحزان والذكريات، لكنه لا يتجاوز كونه إطاراً طبيعياً يخدم غرضاً عاطفياً. يقول امرؤ القيس:

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدولَهُ عليَّ بأنواع الهُموم ليبتلي

فالليل هنا قد صُوِّر على أنه كائن بحري هائل، تشبه أمواج ظلمته أمواج البحر المتراكبة، وقد أرخى سدوله أي أسدل ستائره[3]. هذا التجسيد الطبيعي لليل يعكس قدرة الشاعر على استحضار مفردات بيئته الصحراوية في وصف الظاهرة الليلية، وإن كان هذا الوصف لا يتجاوز كونه تشبيهاً بليغاً خالياً من الأبعاد الفلسفية. وقد نبه الدكتور نصر الدين أسد إلى أن "امرأ القيس كان رائداً في تصوير الليل تصويراً حسياً مادياً، يؤثر فيه المتلقي كأنه يراه رأي العين[4]". أما في شعر عنترة بن شداد، في قصيدته "ألا فتح البُعدُ بيْن قلبيْن"، نجد أن الليل يمثل فترة للاحتجاج على الوحدة والفقدان:

ألا فتح البُعدُ بيْن قلبيْن وأضحى لهُ الليلُ الطويلُ يتبتل

فهنا الليل ليس فاصلاً عاطفياً فحسب، بل جزء من السياق الشعري الذي يحمل فيه الشاعر آلامه الخاصة[5]. وقد أشار الدكتور محمد مصطفى هدارة إلى أن "عنترة كان ينظر إلى الليل كحليف له في التعبير عن مأسيه النفسية، فهو يؤنس وحدته ويشاركه أحزانه[1]".

---

(1) ضيف، شوقي، "تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي"، دار المعارف، القاهرة، ط10، 1987م، ص 122.

(2) حسين، طه، "في الشعر الجاهلي"، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1958م، ص 78.

(3) امرؤ القيس بن حجر الكندي، "ديوان امرئ القيس"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1969م، ص 56.

(4) أسد، نصر الدين، "مصادر الشعر الجاهلي"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998م، ص 234.

(5) عنترة بن شداد العبسي، "ديوان عنترة"، تحقيق محمد سعيد الموصلي، دار صادر، بيروت، 1998م، ص 89.

الليل والهوية القبلية

في العصر الجاهلي، كان الليل مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالهوية القبلية، حيث كانت القبيلة هي الإطار الذي يعيش فيه الشاعر ويمثل هويته. كان الليل يحمل في طياته معاني العزلة والفقدان والاشتياق، لكنها كانت عزلة تحمل في جوهرها التوق للعودة إلى الجماعة القبلية. وقد أشار الدكتور محمد عوض إلى أن "الليل عند العرب الجاهليين كان يُشعرهم بالفزع والرهبة، لما اعتادوه من حياة اجتماعية نهارية ترتبط بالنشاط والحركة والحرب والغارات"(2).

في شعر زهير بن أبي سلمى، تتجلى هذه العلاقة بوضوح. فقصيدته "وَقَدْ أَتَنَّنِي رُسُلُكُمْ" تذكر الليل كرمز للسلام الداخلي، حيث يمثل فرصة للتأمل في شؤون القبيلة. يقول زهير:

تَدارَكْتُما أحلامَ عبلَةَ بَعدَما تَناهى بأطرافِ النِصالِ الجَلاجِلُ

فعلى الرغم من أن الليل في هذه القصيدة يشير إلى وقت للهدوء، إلا أنه يعد أيضاً وقتاً لاجتماع الأفكار وتنظيم الروابط القبلية(3). وقد علق الدكتور شوقي ضيف على هذه الظاهرة قائلاً: "إن الليل عند زهير – حكيم العرب – كان ساحة للصفاء الفكري والرؤية الثاقبة، يتأمل فيه مصائر القبائل ويلتمس مواطن الاتفاق والخلاف"(4).

كما نرى هذا التصور عند الأعشى، شاعر اليمامة المشهور، الذي كان يصف الليل بوصفه حلة سوداء تنزلها السيادة القبلية. يقول الأعشى في إحدى قصائده:

فَليلٌ كَأَنَّ النَجمَ فيهِ كَواكِبٌ عَلَيهِ مِنَ الأَهوالِ أُطرافُ حُلَّلِ

فالليل هنا يُصوَّر على أنه رداء تلبسه الصحراء، وفيه تتأكد معاني الفخر والاعتزاز بالنسب(5). وقد لاحظ الدكتور عز الدين إسماعيل أن "الأعشى كان يُمثل اتجاه الشعراء التجاريين الذين كانوا يرتحلون بين قبائل العرب، فكان الليل عندهم مشهداً للفخر والتباهي والحديث عن المفاخر القبلية"(6).

الليل والحالة العاطفية

كان الليل في الشعر الجاهلي مكاناً للتعبير عن المشاعر العاطفية المتضاربة مثل الحب والفقد والوحدة. كان الشاعر الجاهلي يستخدم الليل كأداة لإطلاق العواطف التي يختزنها في صدره، فقد كان الليل زماناً مناسباً للتأمل في العلاقة مع الحبيب، أو التذكير بالآلام الشخصية أو القلق. وقد أشار الدكتور إحسان عباس إلى أن "الليل عند الشعراء الجاهليين كان مرآة تعكس التعقيدات العاطفية التي كانوا يعانون منها"(7).

في شعر عنترة بن شداد، تتجلى هذه العاطفة بأصدق صورها. فقصيدته "أَلا فَتَحَ البُعدُ بَيْنَ قَلبَينِ" تجعل الليل وقتاً لتمثيل التوتر العاطفي الناتج عن العلاقة بين الشاعر والمحبوبة عبلة. يقول عنترة:

وَلَيلَةٍ مِن نَصفِ الصَيفِ قَصيرَةٍ حَثيثِ النَوى ذي حاجَةٍ لَم تُقَضَّ

يظهر الليل هنا كمساحة للعبور بين الصراع الشخصي من جهة والمشاعر العاطفية من جهة أخرى(8). ويأتي هذا المعنى أكثر وضوحاً في قوله الآخر:

وَأَبتَغي لَيلى بِغَيرِ أَنيَّةٍ وَالبَينُ يَطرُدُني إِلَيكِ وَيُخزِلُ

فالليل يحوّل عواطف الشاعر من مجرد أحاسيس إلى واقع معاش، يُشعره بالظلم الاجتماعي القبلي الذي حال بينه وبين محبوبته(9).

---

(1) هدارة، محمد مصطفى، "عنترة بن شداد: فارس عبسي وشاعر عربي"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1978م، ص 156.

(2) عوض، محمد، "الليل في الشعر الجاهلي"، مجلة فصول، القاهرة، ع12، 1984م، ص 67.

(3) زهير بن أبي سلمى المزني، "ديوان زهير"، تحقيق طه حسين، دار المعارف، القاهرة، 1966م، ص 112.

(4) ضيف، شوقي، "الفن ومذاهبه في الشعر العربي"، دار المعارف، القاهرة، 1980م، ص 95.

(5) الأعشى، ميمون بن قيس، "ديوان الأعشى الكبير"، تحقيق محمد حسين آل كاشف الغطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م، ص 145.

(6) إسماعيل، عز الدين، "الأدب وفنونه: دراسة ونقد"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص 201.

(7) عباس، إحسان، "تاريخ النقد الأدبي عند العرب"، دار الثقافة، بيروت، 1971م، ص 154.

(8) عنترة بن شداد، المرجع السابق، ص 94.

(9) حسين، طه، "حديث الأربعاء"، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1964م، ج1، ص 234.

أما في الشعر الجاهلي النسائي – وإن كان ضئيل الكمية – نجد لليل حضوراً مختلفاً. فالخنساء في رثائها لأخيها صخر تجعل الليل فضاءً للحزن الدافق والألم الفاجع: وإنّ من الليل ليلًا يُعيِّنني على العبرة هجران الأخ المُتقلِّب

فالليل هنا معين للخنساء على طول البكاء على أخيها، يُذكي أحزانها ويُضاعف آلامها[1].

الليل في الشعر الإسلامي (من الزمن الطبيعي إلى الرمزية الروحية)

الليل كوقت للتأمل الروحي

مع ظهور الإسلام، حدث تحول جذري في النظرة إلى الليل، حيث انتقل من كونه ظاهرة طبيعية جامدة إلى رمز للروحانية والتأمل الديني. يمثل الإسلام الليل – كما ورد في القرآن الكريم – فضاءً روحانياً فريداً تستجاب فيه الدعوات وتتنزل فيه الرحمات الإلهية. يقول الله تعالى في سورة الإسراء: "وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا" (الإسراء: 79). وفي سورة المزمل: "قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا" (المزمل: 2) [2].

صارت الصورة الليلية في الشعر الإسلامي أشد تأثيراً من سابقتها، بعدما تحولت إلى أداة دينية للتعبير عن الصلة بالله والتذلل له. فلم يعد الليل مجرد ظرف زماني للراحة أو التعبير العاطفي، بل غدا وسيلة مقدسة يقترب بها المؤمن من ربه عبر صلاة التهجد وقيام الليل وقراءة القرآن.

في شعر حسان بن ثابت، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، نجد نموذجاً فريداً للصورة الليلية الدينية. يقول حسان:

أقُومُ إذا ما جنّ ليلٌ مُصلّيًا وأبكي إذا برقُ السحائبِ أبرقا

هكذا يتحول الليل في هذا البيت إلى فضاء روحاني صرف، يخلو من أي أبعاد قبلية أو مادية. إنه ليل العبادة والتضرع، ليل البكاء من خشية الله وذكر الآخرة[3].

الليل والندم الروحي

الليل في الشعر الإسلامي أصبح بمثابة ساعة الحقيقة التي يعيد فيها الشاعر تقييم ذاته ويعترف بخطاياه. صار الليل وقتاً للندم على ما فات، وتوبة صادقة لتطهير النفس، تتسق مع المفاهيم القرآنية التي تذكر الليل كفرصة للاستغفار والإنابة.

نموذج مهم في هذا السياق يقدمه لنا الخليفة الراشد والصحابي الجليل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. فقد عبّر عن علاقته بالليل في شعره وحكمه المأثورة، التي تظهر الليل على أنه فضاء يتجلى فيه الخوف من الله والبكاء من خشيته[4].

أما في شعر الحسين بن علي سبط النبي – وإن كانت أغلب القصائد المنسوبة إليه غير مثبتة بصورة قاطعة – فإن المرويات تشير إلى أنه كان يستخدم الليل ليصور لحظات التوبة والاعتراف بالخطايا، حيث يمثل الليل فسحة لعودة الإنسان إلى الله والتخلص من الشوائب النفسية[5].

الليل وحرقة الفقد (متمم بن نويرة نموذجاً)

يُمثل متمم بن نويرة حالة شعرية خاصة في صدر الإسلام؛ حيث تحول الليل في قصائده من مجرد إطار زماني إلى فضاء لاستعادة الذكريات المؤلمة ومناجاة الطيف الراحل. فبعد مقتل أخيه مالك بن نويرة، أصبح الليل عند متمم مرادفاً للسهر الطويل الذي لا يقطعه إلا ألم التذكر، وهو ما يعكس بنية نفسية مكلومة تتوسل بالليل لإفراغ شحنات الحزن.

في رثائيته الشهيرة، يصور متمم ليله كأنه دهر لا ينقضي، حيث يقول:

لَعمري وما دهري بأبناء عِلّةٍ .. لأنت لطول الليل أنأى وأبعدُ

تحيّةُ من لا يستقرُّ وإن كان حيّاً في الثرى يتردّدُ[6]

فالليل هنا لم يعد "موج بحر" كما عند امرئ القيس للابتلاء العام، بل صار زمناً نوعياً يقيس فيه الشاعر مسافة الغياب بينه وبين أخيه. وقد لاحظ الدكتور إحسان عباس أن "متمم بن نويرة نقل الرثاء من العويل الجماعي إلى التأمل الفردي الصامت في سكون الليل، مما جعل تجربته تقترب من الروحانية التي غرسها الإسلام في تهذيب النفس الصابرة"[1].

---

(1) الخنساء، تماضر بنت عمرو، "ديوان الخنساء"، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعارف، القاهرة، 1975م، ص 67.

(2) القرآن الكريم، سورة الإسراء (17)، الآية 79 / سورة المزمل (73)، الآية 2.

(3) حسان بن ثابت الأنصاري، "ديوان حسان بن ثابت"، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، 1974م، ص 210.

(4) علي بن أبي طالب، "ديوان أمير المؤمنين"، تحقيق الشيخ محمد باقر، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1964م، ص 87.

(5) الحسين بن علي بن أبي طالب، "ديوان الإمام الحسين"، تحقيق مهدي الحسيني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1999م، ص 56.

(6) بن نويرة، متمم، "ديوان متمم بن نويرة"، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ط1، 1975م، ص 56.

إن ليل متمم يتميز بكونه ليلاً "تذكارياً"؛ فهو الوقت الذي تخلو فيه النفس من صخب الحياة لتواجه حقيقتها الفاجعة، وهو تحول دلالي مهم مهد الطريق لظهور ليل الزهد والتأمل الفلسفي لاحقاً.

الليل في الشعر العباسي (التحول إلى البنية النفسية والتأمل الفلسفي)

الليل كمرآة للقلق النفسي

في العصر العباسي، حدث تحول جذري في وظيفة الصورة الليلية، إذ بدأ الشعراء يستخدمون الليل كأداة للتعبير عن القلق النفسي الذي كانوا يعانون منه بسبب التحولات الفكرية والاقتصادية التي مر بها المجتمع العباسي. أصبح الليل في هذا العصر ليس مجرد وقت للراحة أو للعبادة أو للبكاء، بل أصبح رمزاً للتوتر الداخلي والمشاعر المضطربة التي عانى منها الإنسان العباسي في مدينة بغداد التي كانت تعج بالتناقضات والمفارقات[2].

في شعر أبي نواس، يصل التصوير الليلي إلى ذروة جديدة من التعقيد النفسي. ففي قصيدته "أمسكت الكأس في يدي"، يظهر الليل ليس فقط كفرصة للانغماس في الملذات، بل كعنصر من القلق الداخلي، حيث يُحاول الشاعر الهروب من واقع مرير. يقول أبو نواس:

أمسكتُ الكأسَ في يدي والليلُ ينظرُ بالأسى

الليل هنا يتحول إلى كائن ينظر إلى الشاعر بعين الأسى، وكأنه يعلم مأساته الوجودية التي يحاول أن يخفيها وراء ستار الخمر والمجون[3].

الليل والفلسفة العباسية

في العصر العباسي، بدأ الشاعر العربي يعبر عن تساؤلاته الوجودية والفلسفية التي أثارتها حركة الترجمة عن اليونانية وما بعد الطبيعة، وانتشار النظريات الفلسفية والكلامية. كان الليل يُستخدم كرمز للتفكير في قضايا الحياة والموت والوجود الطبيعي وما بعد الطبيعة، وأصبح يمثل مساحة لتساؤل الإنسان حول مصيره والكون من حوله.

في شعر المتنبي، تتجلى هذه الظاهرة في أروع صورها. ففي قصيدته "على قدر أهل العزم تأتي العزائم"، استخدم المتنبي الليل للتعبير عن معنى العزيمة والقدرة على التأمل في المصير. يقول المتنبي:

وأرتعُ الفرائضَ في أُصُولِي وأُثقِبُ في الدُجُنّةِ بالنُجُوم

هنا يصبح الليل مرادفاً لفترة من الفحص العقلي والروحاني العميق، تكاد تكون مقاربة فلسفية لمفهوم الظلمة كرمز للخوف المجهول، الذي يتم تجاوزه بواسطة قدرة الشاعر العقلية والإرادية[4].

أما أبو العلاء المعري في "لزومياته" فيصل إلى القمة في فلسفة الليل، حيث يصور الليل على أنه فضاء للمساءلة الذاتية والحساب النفسي[5].

الليل كعلامة على التحول الداخلي

في هذا العصر، أصبح الليل مكاناً للتغيير والتحول النفسي الذي يمر به الشاعر. لم يعد الليل مجرد جزء من الحياة اليومية، بل أصبح لحظة إعادة التقييم والتفكير في الذات. إنه مساحة للمصالحة الداخلية والبحث عن التوازن الروحي، وهو ما تجلى بوضوح في شعر ابن الرومي.

في قصيدة ابن الرومي "أرى الليل يرتدي وجهًا آخر"، يظهر الليل كعلامة على التحول الداخلي للشاعر. فالليل هنا يمثل الوقت الذي تتغير فيه ملامح الذات الإنسانية وتتحول. يقول ابن الرومي:

أرى اللّيلَ يرتَدي وجهاً سواهُ كَما ردَّ الزمانُ العُطل حاليا

هذه الرؤية تشير إلى أن الليل لم يعد مجرد إطار، بل صار فعلاً مسرحياً تعرض فيه الذات صراعها وتحولاتها بهدف التطهر من أدران النهار[6].

---

(1) عباس، إحسان، "تاريخ الأدب العربي: عصر المخضرمين والأمويين"، دار الشروق، عمان، ط2، 1995م، ص 134.

(2) خفاجي، محمد عبد المنعم، "الحياة الأدبية في العصر العباسي"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م، ص 189.

(3) أبو نواس، الحسن بن هانئ، "ديوان أبي نواس"، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص 278.

(4) المتنبي، أحمد بن الحسين، "ديوان أبي الطيب المتنبي"، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1، ص 345.

(5) المعري، أحمد بن عبد الله، "لزوم ما لا يلزم"، تحقيق محمد سعيد الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ج2، ص 112.

(6) ابن الرومي، علي بن العباس، "ديوان ابن الرومي"، تحقيق حسين نصار، دار المعارف، القاهرة، 1977م، ج4، ص 89.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى أن صورة الليل في الشعر العربي لم تكن صورة ثابتة أو جامدة، بل مرت بتحولات دلالية ورمزية كبرى تعكس تحولات الوعي الجمعي العربي عبر العصور. لقد انتقل الليل من كونه ظاهرة طبيعية في العصر الجاهلي إلى رمز روحاني في العصر الإسلامي (متجلياً في التأمل الديني، والندم الروحي، وحرقة الفقد التذكارية عند متمم بن نويرة)، ثم إلى بنية نفسية وفلسفية معقدة في العصر العباسي. هذا التحول لم يكن عفوياً، بل كان نتاج تفاعل عوامل متعددة: الدينية، والحضارية، والفلسفية، والاجتماعية. كما كشف البحث عن قدرة الشعراء العرب على توظيف الليل كأداة تعبيرية متعددة الأبعاد، تصلح للتعبير عن أعمق المشاعر الإنسانية وأكثر الأسئلة الوجودية إلحاحاً.

النتائج

1/ تحولت صورة الليل من ظاهرة طبيعية جامدة في العصر الجاهلي إلى رمز روحاني وفلسفي ونفسي معقد في العصرين الإسلامي والعباسي.

2/ لعب العامل الديني دوراً محورياً في هذا التحول، متأثراً بالنصوص القرآنية التي تمجد قيام الليل.

3/ أسهمت التحولات الحضارية الكبرى (الفتوحات، بناء المدن، حركة الترجمة، التصوف، الجدل الفلسفي) في تحويل الصورة الليلية إلى أداة فكرية متعددة الأبعاد.

4/ مثل العصر العباسي قمة التطور في صورة الليل بفضل شعراء كأبي نواس والمتنبي والمعري وابن الرومي.

5/ تحول الليل من مجرد ظرف زماني إلى بنية جمالية قائمة بذاتها.

6/ اختلفت وظيفة الليل باختلاف تجربة الشاعر وبيئته.

7/ لم تختف الصورة الليلية الجاهلية بل تم تجاوزها ودمجها في رؤى أكثر تعقيداً.

التوصيات

1/ إجراء دراسات مقارنة بين صورة الليل في الشعر العربي ونظيراتها في الشعر الفارسي والتركي والأندلسي.

2/ تتبع تحولات صورة الليل في الشعر العربي الحديث والمعاصر.

3/ دراسة الصور الشعرية الأخرى المرتبطة بالليل كالنجوم والقمر والظلام والسهر.

4/ توظيف المناهج النقدية الحديثة كالسيميائيات والتفكيكية والنقد النفسي.

5/ إدراج موضوع "تحولات الصورة الشعرية" ضمن المقررات الجامعية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
أبو نواس، الحسن بن هانئ (2003م) "ديوان أبي نواس"، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت.
أسد، نصر الدين (1998م) "مصادر الشعر الجاهلي"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
إسماعيل، عز الدين (1998م) "الأدب وفنونه: دراسة ونقد"، دار الفكر العربي، القاهرة.
الأعشى، ميمون بن قيس (2006م) "ديوان الأعشى الكبير"، تحقيق: محمد حسين آل كاشف الغطاء، دار الكتب العلمية، بيروت.
امرؤ القيس بن حجر الكندي (1969م) "ديوان امرئ القيس"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط4.
ابن الرومي، علي بن العباس (1977م) "ديوان ابن الرومي"، تحقيق: حسين نصار، دار المعارف، القاهرة.
ابن نويرة، متمم (1975م)"ديوان متمم بن نويرة"، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ط1.
حسان بن ثابت الأنصاري (1974م) "ديوان حسان بن ثابت"، تحقيق: وليد عرفات، دار صادر، بيروت.
حسين، طه (1964م) ، "حديث الأربعاء"، دار المعارف، القاهرة، ط2.
حسين، طه(1958م) "في الشعر الجاهلي"، دار المعارف، القاهرة، ط4.
خفاجي، محمد عبد المنعم(1988م) "الحياة الأدبية في العصر العباسي"، دار الفكر العربي، القاهرة.
الخنساء، تماضر بنت عمرو(2004م) "ديوان الخنساء"، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت.
زهير بن أبي سلمى المزني(1964م) "ديوان زهير"، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت.
ضيف، شوقي(1987م) "تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي"، دار المعارف، القاهرة، ط10.
ضيف، شوقي(1980م) "الفن ومذاهبه في الشعر العربي"، دار المعارف، القاهرة.
عباس، إحسان(1995م) "تاريخ الأدب العربي: عصر المخضرمين والأمويين"، دار الشروق، عمان، ط2.
عباس، إحسان (1971م) "تاريخ النقد الأدبي عند العرب"، دار الثقافة، بيروت.
علي بن أبي طالب(1964م) "ديوان أمير المؤمنين"، تحقيق: الشيخ محمد باقر، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف.
عنترة بن شداد العبسي(1998م) "ديوان عنترة"، تحقيق: محمد سعيد الموصلي، دار صادر، بيروت.
عوض، محمد(1984م) "الليل في الشعر الجاهلي"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ع12.
المتنبي، أحمد بن الحسين (1997م) "ديوان أبي الطيب المتنبي"، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
المعري، أحمد بن عبد الله (2000م) "لزوم ما لا يلزم"، تحقيق: محمد سعيد الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت.
نصار، حسين (1985م) "اللفظ والحضارة في الشعر الإسلامي"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
هدارة، محمد مصطفى (1978م) "عنترة بن شداد: فارس عبسي وشاعر عربي"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.
غابريلي، فرانشيسكو (1993م) "ألف ليلة وليلة: تاريخ أدبي"، دار الساقي، لندن.
نيكلسون، رينولد ألين (1998م) "تاريخ العرب الأدبي"، مطبعة جامعة كامبريدج، كامبريدج.